

أثر المبرّد في النحو العبرى

و. س. لوى فاضل *

لن نضيف جديداً هنا إذا تحدثنا عن تأثير النحاة اليهود بالنحاة العرب ، فقد أصبح من المعروف أن النحو العبرى قد وضع على أساس النحو العربى وأن النحاة اليهود قد طبقوا إلى مدى واسع نظرية النحو العربى بجوانبها المختلفة حتى إنهم استخدموا تقريباً نفس المصطلحات (١) ، مثل القياس والسمع والعلة والتقدير والأصل وغيرها من المصطلحات وتطبيقها على اللغة العبرية فى محاولة لدراسة أساليب اللغة وتحليلها :

وقد بدأ هذا التأثير كما هو ثابت منذ الخطوات الأولى لبداية الدراسات النحوية واللغوية التى تمثلت فى أول قاموس عبرى مرتب ترتيباً أنجدياً تركه لنا سعديا ابن يوسف الفيومى معترفاً فيه بتأثره بالنحاة العرب مقتفياً أثرهم من ناحية الخطأ والمنهج (٢) وقد امتد هذا التأثير العربى أيضاً ليشمل مقالاته المسماة « كتب اللغة » (٣) والتى تعد أول مقالات مكتوبة تخصص للنحو العبرى وقد ظهر هذا التأثير من تقسيمه للكلام إلى « اسم وفعل وحرف » وهو نفس التقسيم العربى ، وفى تعريفاته ، واعتباره أن المصدر أصل المشتقات . وامتد إلى وصفه للأصوات والحركات .

ظل هذا التأثير — بعد سعديا أيضاً — فى الكتب والمعاجم والمقالات التى احتذى فيها النحاة اليهود حذو النحاة العرب حتى نصل إلى فترة الأندلس حيث انتشرت هذه الدراسات النحوية واكتسبت عمقاً خاصاً أقيم عليه صرح اللغة العبرية الذى مازال معمولاً به حتى هذه الأيام ، وتعتبر التجديدات والإضافات التى أدخلت على اللغة العبرية بعد فترة الأندلس إضافات قليلة من حيث الكم والكيف (٤) .

* مدرس بقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دارالعلوم جامعة القاهرة .

هذا وقد اعتبر علم النحو في تلك الفترة مفخرة العلوم ورمز الثقافة والمعرفة لدرجة أنه كان من لا يهتم بمعرفة النحو يتهم بالجهل ولو كان عالماً بكل العلوم الأخرى ويصبح عرضة لسهام الأقوال والولوم من قبل أعدائه (٥) .

يرجع هذا التأثير بدون شك إلى تلك النهضة العلمية التي انبثقت في الأندلس، واهتمام العرب أنفسهم بدراسة النحو، ففي القرن العاشر كان هناك عدد من المؤدبين الذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من الخواضر الأندلسية مبادئ العربية، وكان أكثرهم من القراء الذين كانوا يرحلون إلى الشرق فيتلقون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع إشاراتهما كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية . (٦)

كان هؤلاء النحاة الأندلسيون على علم تام بكل من النحو البصري والكوفي إلا أنهم قد اهتموا اهتماماً كبيراً بكتاب سيبويه الذي كان أول من فتح عصر الاهتمام به هو محمد بن يحيى المهلبى الرباحى الحياى (٧) الذى أخذته عن أبى جعفر ابن النحاس النحوى المصرى قراءة وعاد إلى قرطبة يفرغ له ولقراءته على الطلاب شارحاً ومفسراً وكان يعقد لهم أيضاً مجلساً يوم الجمعة للمناظرة في مسائله كما نقل الرباحى أيضاً كتاب المقتضب للمبرد عن النحاس ، وغيرها من الكتب (٨) .

هذا وقد كان يهود الأندلس الذين يقيمون مع العرب قد أخذوا أنفسهم بنفس الاهتمامات وفروع الدراسة لدرجة أن اليهود الذين كانوا يتحدثون العربية كانوا يحرصون على حضور مثل هذه المحاضرات بوصفهم تلاميذ هؤلاء النحاة العرب يتضح هذا من إحدى قطع جنيزا القاهرة الموجودة في كمبردج والتي يبدأ فيها المؤلف بالحديث عن تعريف الاسم المنسوب إلى سيبويه :

« حد الاسم لسيبويه : قال في ثلاثة أقوال الاسم ما حسن فيه معنى
فينفعنى ويضرنى فهو اسم والاسم رجل وفرس وقال بعد هذا
فالأسماء المحدث لأنها . . . الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً لأنه قال
ألا ترى أنك لو قلت أن يضر يأتينا لم يكن كلاماً كما تقول
إن ضاربك يأتينا فدل بذلك على أن الاسم عنده ما صلح له
الفعل . . . » (٩)

وقد ذكر أيضاً سيبويه في كتاب « اللمع » للنحوى اليهودى الوليد مروان بن جناح القرطبي (١٠) لدرجة أنه قيل أن اهتمام الأندلس بكتاب سيبويه وصل إلى الدرجة التي

جعلت اليهود في الأندلس ينقلون مضمون كتاب سيبويه إلى اللغة العبرية ليكون بمثابة دستور يسرون عليه في تنظيم قواعد النحو في اللغة العبرية . (١١)

بدأت هذه النهضة أو ما يسمى باسم الفترة العلمية للدراسات النحوية العبرية مع حيوج (١٢) حوالى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى الذى تعرف على الشبه الموجود بين الجدور العبرية والعربية وطبق نظرية الثلاثية التى تكون بموجبها كل الأفعال العبرية مكونة من ثلاثة أحرف وكانت المعاجم العبرية حتى هذه الفترة ما زالت تضم أفعالا من حرفين وأحيانا من حرف واحد (١٣) .

وقد أشار حيوج إلى أن التصريف هو المفتاح الوحيد للتعرف على حروف اللين التى تسقط من الأفعال المعتلة العين أو الفاء أو اللام والأخرى المضعفة وقدم لنا في كتابيه الأفعال ذوات حروف اللين « و » « الأفعال ذوات المثلين » (١٤) وصفا شاملا لهذه الأفعال وتصاريدها .

كان هذا الكشف الذى أهدها حيوج إلى اللغة العبرية والدراسات النحوية هو الأساس الذى قامت من حوله الكثير من المناقشات وكتبت المقالات والكتب والتى كان من أهمها ما كتبه ابن جناح (١٥) وما كتبه صموئيل الناجيد في الرد عليه (١٦) لدرجة أن انقسم المجتمع اليهودى في الأندلس إلى معسكرين رئيسيين يذكرنا بما كان يحدث بين نخبة البصرة والكوفة .

وكان أهم نتائج تلك المناقشات والخبرات ذلك العمل الذى تركه لنا ابن جناح وهو كتاب « التنقيح » الذى ينقسم إلى قسمين :

الأول : كتاب شامل للقواعد العبرية أو ما يعد أول كتاب يتناول تقريبا كل موضوعات اللغة سواء من ناحية الأصوات أو التصريف أو التراكيب وهو المسمى بكتاب « اللمع » . (١٧)

الثانى : معجم كامل للكلمات الواردة في العهد القديم . (١٨)

ما يعنينا هنا هو كتاب اللمع الذى يعد بالنسبة لليهود بمنزلة كتاب سيبويه بالنسبة للعرب . هذا وقد أجمعت كل الآراء التى درست هذا الكتاب على أنه موضوع على أساس النحو العربى وقد أشارت أيضا إلى تأثيره بسبويه اعتماداً على الإشارة الموجودة

في الكتاب نفسه والتي سبقت الإشارة إليها . إلا أنه لم توجد محاولات حتى الآن قامت بتتبع هذا التأثير ودراسته دراسة موضوعية معتمدة على أوجه التشابه والاختلاف بينهما وعلى مدى مطابقة ابن جناح لسيبويه في تعريفاته واستخدامه لنفس المصطلحات ثم في تتبع تحليلاته وتعليلاته لظواهر اللغة ليظهر لنا هذا التأثير ، وسنحاول القيام بهذا قدر الإمكان في هذه الدراسة لنقف على جانب من هذا التأثير .

ولكن ما هو دور المبرد هنا ؟ أو هل يختلف المبرد عن سيبويه فيما يختص بالنحو العربي ؟ .

إن المبرد كما نعرف يعد بحق آخر أئمة المدرسة البصرية المهمين . وقد ذكره ابن جني فقال « يعد جيلاً » في العلم وإليه أفضت مقالات أصحابنا (يريد البصريين) وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها (١٩) .

ويقول عنه الأزهري في معجمه تهذيب اللغة « كان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه » . وقد حرص المبرد في آرائه النحوية والصرفية على اتباع نفس الأصول التي اعتمد عليها أئمة مدرسته من قبله من ناحية عنايته بالتعريف والسماع والتعليل والقياس وبالعوامل والمعاملات ، وكان أيضاً حريصاً على رفض بعض القراءات الشاذة ما دامت لا تطرد مع قواعده النحوية وتشدد مثل سالفه في قبول الرواية عن العرب وكان يحاول دائماً أن يسند أراءه بالعلل فلا بد لكل رأى من علة تبرره . (٢٠)

إذن من ناحية الأسس العامة لم يختلف المبرد عن سيبويه وكذلك ابن جناح في نقله عنهما — أما إذا انتقلنا إلى الجزئيات أو إلى شيء من التفصيل فسنلاحظ أن ابن جناح كان أكثر تأثراً أو أكثر نقلاً عن المبرد منه عن سيبويه ولا بد أنه كان قد درس كتاب سيبويه دراسة جيدة مع كتاب المقتضب للمبرد الذي كان معروفاً أيضاً في الأندلس في ذلك الوقت ، هذا ولم ترد أية إشارة من قبل عن احتمال تأثر ابن جناح بالمبرد أو حتى قراءته لكتابه بل لابد أن شهرة كتاب سيبويه جعلت الجميع يظنون أن ابن جناح قد تأثر به فقط ، ولكن يبدو أن ابن جناح كان يحتفظ بنسخة من كتاب المقتضب يضعها نصب عينيه عند تأليفه كتاب اللمع ويتضح هذا جلياً من تطابق بعض القطع والتعريفات والتعليلات في الكتابين « المقتضب » و « اللمع » تطابقاً تاماً لا تكاد تختلف في حرف واحد وفي بعض الأحيان يشمل الاختلاف كلمة واحدة تفديماً أو تأخيراً ، ولولا خلو مخطوطة كتاب اللمع من علامات الترقيم لوصل هذا التطابق إليها . . .

هذا وسينى منهجنا هنا في محاولة الكشف عن هذا التأثير والتأثير على الإتيان بنصوص من كل من المبرد وابن جناح وسيبويه - في بعض الأحيان - لإظهار مدى التشابه والخلاف بينها .

وسنبداً هنا بإيراد بعض أوجه التأثير في مجال الأصوات في وصف مخرج النون والميم نجد المبرد يصف لنا ذلك قائلاً :

- وأقرب المخارج منه مخرج النون المتحركة . . . فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم وتعتبر ذلك بأنك لو أمسكت بأنفك عند لفظك بها لوجدتها مختلفة . (المقتضب ١/ ١٩٣) .

ويقول ابن جناح :

- وأقرب المخارج منه مخرج النون المتحركة . . . فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم وتعتبر ذلك بأنك لو أمسكت بأنفك عند لفظك بها لوجدتها مختلفة . « اللمع ٢٧-٢٨ » .
يقول المبرد :

- النون المتحركة مشربة بغنة والغنة من الخياشيم والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم وإنما سميتا باسم واحد لإشتباه الصوتين وإلا فإنهما ليستا من مخرج واحد (المقتضب ١/ ١٩٣)

يقول ابن جناح :

- النون المتحركة مشربة بغنة والغنة من الخياشيم والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم وإنما سميتا باسم واحد لما ذكرت لك أعنى لإشتباه الصوتين وإلا فإنهما ليستا من مخرج واحد (اللمع ٢٨)

على حين جاء وصف سيبويه لمخرج الميم والنون كما يلي :

والنون والميم قد يعتمد لهما من الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما (الكتاب ٢/ ٤٥٤) .
وفي وصفه أيضاً لمخرج اللام نجد ابن جناح يستخدم نفس وصف المبرد حيث يقول :

- « مخرج اللام من طرف اللسان معارضاً لأصول الثنايا » (اللمع ٢٧) .

ويقول المبرد :

- وتخرج اللام من طرف اللسان معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات .
(المقتضب ١ / ١٩٣) .

ولكى يتضح الخلاف هنا أيضاً بينه وبين سيبويه نورد وصف سيبويه لمخرج اللام
الذى جاء فيه :

- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك
الأعلى وما فوق الضاحك والنايب والرابعة والثنية مخرج اللام . (الكتاب
٢ / ٤٥٣) .

أما عند وصفه للألف فقد استعار أيضاً ابن جناح وصف المبرد لها قائلاً : والألف
هاوية هناك . (لمع ٢٧ - المقتضب ١ / ١٩٢) . وربما كان كلاهما يعنى أن الألف اللينة
تشارك الهاء فى المخرج . وكان الخليل بن أحمد هو أول من استخدم مصطلح « هوائية »
أو « هاوية » لوصف حروف الخلق قائلاً : . . . إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها
حز تنسب إليه إلا الجوف ، « وكان يقول كثيراً » الألف اللينة والواو والياء هوائية
أى أنها فى الهواء » (العين ص ٥) .

وقد ظهر أيضاً هذا الوصف لدى سيبويه عند حديثه عن الألف اللينة إذ يقول :
« ومنها الهاوى وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه . . . الكتاب ٢ / ٤٥٤ .

أما مصطلح التفشى الذى استخدمه سيبويه فى وصف الراء (الكتاب ٢ / ٤٦١) ،
وابن جنى - فيما بعد فى وصف الضاد (سر صناعة الإعراب ١ / ٢٢٤) فقد استخدمه
كل من المبرد وابن جناح لوصف حرف الشين (لمع ٢٧ - المقتضب ١ / ٢١٤ و ٢١٤) .

ويعتبر باب « العدد » من الأبواب التى تظهر مدى تأثر ابن جناح بتعليلات المبرد
فقد وافقه على أن الأعداد المؤنثة دون العاشرة التى تدخل على المحدود المذكور لا تدل على
مؤنث وإنما دخلت فيها الهاء للمبالغة . (لمع ٣٨٠ ، المقتضب ٢ / ١٥٧) .

أما سيبويه فإنه يقول بكل بساطة أن الأعداد من ثلاثة إلى عشرة التى تتصل بمحدود
مذكر هى أعداد مؤنثة تحتوى على تاء التأنيث بينما تحذف هذه التاء لدخولها على معدود
مؤنث .

وقد لجأ كل من المبرد وابن جناح إلى تعليل سقوط التاء من الأعداد الداخلة على معبود مؤنث بقولهم إن هذه الأعداد تحدث بدون تاء مع ملاحظة أنها أعداد مؤنثة وهي تشبه كلمات مثل عقرب وشمس (وقد استبدل بهما ابن جناح كلمتي أرض وشمس) التي تحمل في داخلها دليلاً على تأنيثها .

أما حركة العين بالكسرة في العدد « عشرين » بعد أن كانت فتحة في العدد « عشرة » فيعللان لها بأن صعوبة اشتقاق لفظ العقد من العدد اثنين كما حدث مع الثلاثين والأربعين واضطرارهم إلى تشيئة العدد عشرة أدى بهم إلى تغير حركة العين « ليكون ذلك دليلاً على على مجيئه على غير وجهه (اللمع ٣٨ - المقتضب ٢ / ١٦٥ - ١٦٦) .

ولم يختلف كل منهما أيضاً في تعليل أن العدد « مائة » يشكل كلمة مستقاة غير مشتقة من عدد ما من العقود وخاصة عشرة التي اشتق منها العدد « عشرون » من قبل فقد قال المبرد في هذا الصدد :

إذا صرت إلى العقد الذي بعدها كان له اسم خارج من هذه الأسماء لأن محاه محل الثلاثين مما قبلها والأربعين مما قبلها ونحو ذلك ولم يشتق له من العشرة اسم لثلا يلتبس بالعشرين .

(المقتضب ٢ / ١٦٧)

ويقول ابن جناح :

فإذا صرت إلى العقد الذي بعدها كان له اسم خارج من هذه الأسماء إذ محله محل الثلاثين مما قبلها والأربعين مما قبلها ونحو ذلك ، فقل مائة ولم يشتق له اسم من عشرة لثلا يشبه بالعشرين . (اللمع)

وفيما يتعلق بالأفعال لم يقدم لنا ابن جناح جديداً أو تفسيراً مختلفاً عما قدمه المبرد وسيبويه تمثيلاً مع ميله تجاه المذهب البصري وتفضييه على المذهب الكوفي حتى في استخدام بعض المصطلحات التي حرص عليها مثل مصطلح « المضارع » الذي أطلق عليه الكوفيون « الدائم » (٢١) ، وبالرغم من تخلص اللغة العبرية من الإعراب فإن ابن جناح لم يجد هناك ما يمنعه من الإشارة إلى لفظة مضارعة بمعنى التشابه الموجود بين الفعل في زمن الحال وبينه في زمن الاستقبال « فكل على حياله إلا بين الفعل المستقبل واسم الفاعل هذه المضارعة التي ترى » . (اللمع ١٤٥) .

بالإضافة إلى ما تقدم هناك أيضا بعض الاختلافات التي تميز ابن جناح عن سيبويه وتجعله أقرب إلى المبرد أهمها : —

١ — استخدام كل من المبرد وابن جناح لأسلوب « الفتنة » ذلك الأسلوب الذي استخدمه النحاة من أجل تبرير مواقفهم المختلفة وذلك بافترض مناقشة مناقضة لمناقشتهم ثم تنفيذها وذلك باستخدام الأسلوب التالي : فإن قال قائل . . . قلت .

وبالرغم من أن سيبويه استخدم أيضا هذا الأسلوب فإن استخدامه له كان نادراً (الكتاب ١/ ٢٦٠) . وقد شاع هذا الاستخدام فيما بعد بين نحاة القرن الثالث الهجري ويعتبر الباب الخاص بالتعجب في كتاب المقتضب للمبرد خير مثال على ذلك (المقتضب ٤/ ١٧٣-١٧٦)

وقد مال ابن جناح إلى هذا الأسلوب مستخدما أحيانا نفس الألفاظ :

فإن قال قائل إن هذه النونات . . . قلنا له لو كان الأمر كما زعمت . . . (اللمع ٧٣-١٩٠-٢٩٠-٣٨٠) .

وأحيانا أخرى استخدم الفاظاً مثل :

فإن أنكر منكر أن . . . قلنا له . . . (اللمع ٦٢) .

فإن زعم زاعم . . . (اللمع ١٢٠)

فإن احتج علينا أحد . . . فليعلم (اللمع ٢٦٠)

فإن اعترض علينا . . . كان الجواب (اللمع ٣٨١)

فإن ذهب متعسف أن يتعسف في هذا فيقول . . . (اللمع ٣٨٦)

فإن تعقب علينا متعقب . . . قلنا له . . . (اللمع ١٧)

واعلم أنه ليس لأحد أن يعارضه فيقول . . . (اللمع ٢٨١)

وفي أحيانا أخرى لجأ ابن جناح إلى أسلوب آخر وذلك بطرح سؤال أو بإفترضه ثم الإجابة عليه :

وفي هذا الباب مبحث آخر وهو أن يسأل فيقال وكيف حكم أبو زكريا على نفل إذا كان . . . أجبنه أن . . . (اللمع ٢٢٠)

ومن الممكن القول هنا إنه بالرغم من نقد سيبويه لبعض آراء النحويين في عصره فإنه لم يرفض تعليقاتهم أو تحليلاتهم التي قدموها وهو الأمر الذي يختلف عما كان عليه الحال (٢٢) بعده حيث قامت الخلافات بين النحويين وخاصة ذلك الخلاف بين أنصار مذهب

البصرة من جانب والكوفة من جانب آخر وكذلك الخلاف المشابه الذى قام بين النحاة العبريين وقسمهم قسمين قسم ضم أنصار ابن جناح وضم الآخر أنصار مهارضة صموئيل الناجيد . . . وهو الأمر الذى احتاج إلى مثل هذا النوع من الأسلوب للرد وتقنيد آراء الجانب الآخر .

ومع إمعان النظر أيضاً فى منهج سيبويه فى الكتاب فإننا نلاحظ خلوه من أى اتجاه تعليمى حيث أنه كان أكثر اهتماماً بتنظيم معطيات اللغة العربية منه بتسهيلها للمتعلمين سواء أكان ذلك للمتحدثين بالعربية أم لغير المتحدثين بها .

وبالرغم من أنه كثيراً ما قدم نفسه للقارىء مفتتحاً كلامه بتعابير مثل اعلمه . . اعلم أن . . ارفع . . ويزيد هذا عندك بياناً . . . ومما يبين لك أن . . . إلا أن هذا كان يعد أحد الأساليب المستخدمة فى الأسلوب العربى القديم وكان سيبويه على العموم كثيراً ما يستخدم مثل هذه العبارات ليستهل بها جملة تتحدث عن أبسط القواعد الموجودة فى العربية .

وماذا عن المبرد وابن جناح هنا . . ؟ فى الواقع إن ابن جناح سواء فى كتابه اللمع أو فى غيرها من كتبه أو مقالاته التى كتبها عن النحو يعتبر كاتب تعليمى صرف ، بحيث لم يهدف فى معظم كتبه إلا إلى مساعدة المبتدئين فى تعلم العربية ومن أجل تسهيل ما صعب عليهم من كتب سابقة وخاصة كتب « حيوج » ويتضح هذا جلياً من أحد العناوين التى أطلقتها على كتبه وهو « رسالة التقريب والتسهيل » .

أما المبرد فن الممكن القول هنا أيضاً أن جميع الكتب التى كتبت بعد سيبويه (٢٣) بما فيها المقتضب كانت تضع المتعلمين نصب أعينها حتى يكونوا على كفاءة خاصة من أجل الإجابة على أية مسألة .

أما السمة الأخرى التى تميز كلا من المبرد وابن جناح عن سيبويه فهى استخدامهم لمصطلحات خاصة بعلم المنطق والفلسفة وتوضيح المناقشة التالية مدى اهتمامهم وانغماسهم فى هذا الجانب وهى المناقشة التى تتناول فكرة الزمن وعلاقتها بالأفعال وفى تحديد أصل المشتقات .

وفى هذا الصدد يقول ابن جناح :

« فنقول إنه قد صح بشهادة العتول الصحيحة وثبت بدلالة الأفكار الصريحة أنه

لا شيء بعد الباري عز وجل إلا جوهر وعرض فقط . . . وقد علم أن الجوهر هو القائم بذاته الحامل للأعراض وأن العرض هو المحمول بالجوهر غير قائم بذاته . . . ولما كان الجوهر أقدم من العرض قدمة طبيعية إذ هو الحامل له أو المحدث له وكنا قد اضطررنا إلى أن نضع لكل واحد من الجواهر اسماً نفصله به من غيره قدمنا الاسم في الرتبة وإن كانت الاسمية مشتركة للجوهر والعرض جميعاً . . . ومن الأسماء أسماء موضوعة باشتقاق وهي الأسماء المشتقة للجواهر من الأعراض المحمولة عليها . . . (لمع ص ١٩-٢٠)

أما عند حديثه عن الأفعال فقد قال :

«وأما أى هاتين الصيغتين أقدم أعنى الماضى والمستقبل فيحتمل جوابين أحدهما أن يكون الماضى هو الأقدم لأن الفعل الواقع أعنى الماضى هو واجب يعنى قد خرج إلى الكون والذى لم يقع بعد أعنى المستقبل ممكن لا يدرى أيكون أم لا والواجب أقدم من الممكن كما قال أرسطو صاحب المنطق» (المع ٢٢) .

وقد ناقش المبرد أيضاً هذه الفكرة قائلاً :

«والمكان لا يكون فيه مثل ذلك فالفعل ينقضى كالزمان لأن الزمان مرور الأيام والليالى فالفعل على سننه يمتضى وليست الأمكنة كذلك إنما هى جثث ثابتة تفصل بينهما بالعين وتعرف بعضها من بعض كما تعرف زيدا من عمر (المقتضب ٢/ ٢٧٥)

أما سيبويه فإن مناقشته للفعل وأزمته لم تحو أى تأثير بتلك المصطلحات الفلسفية حيث إنه يعرض لنا الفكرة بصورة بسيطة قائلاً :

وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع . . (الكتاب ١/ ١)

وعلى هذا فمن الممكن القول أنه بالرغم من أن الدراسات القليلة التى قامت حول اللغة العبرية في عصر ابن جناح إذا ما قورنت باللغة العربية الأمر الذى كان من الممكن أن يدفعه لاحتماء مذهب الكوفيين القائم على السماع فإنه مال ميلاً واضحاً ناحية مذهب البصرة القياسى وذلك في محاولة للبحث عن قواعد شاملة دقيقة . . . لقد كان ابن جناح حريصاً مثل سيبويه على رفض معطيات مؤسسة على صيغ شاذة إلا أنه لم يستطع مقاومة تأثيره بالنحاة العرب المتأخرين في ميلهم إلى المنطق والفلسفة الذى جعله في معظم تعريفاته وتعليقاته أكثر تأثراً بالمبرد عنه بسبويه .

الهوامش

1. Hirschfeld, Hartwig, Literary History of Hebrew Grammarian , London, 1926, p. 37.
2. Allony, N., ha - E — gron, Jerusalem, 1969, p. 85.
3. Skoss, S.L., Sadddia - Ga'on, The Earliest Hebrew Grammarian; Philadelphia, 1955.
4. Chomsky, William, ha - Lashon ha - Ibrit be — Darkhe Hitbathuta, Jerusalem; Zeed, 1977, pp. 167—170.
5. Ashtor, Eli, The History of the Jews in Spain, Jerusalem, 1966, p. 380.

٦ - ضيف (شوقي) « المدارس النحوية » ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٩٠ .

7. Omar, Ahmad Mukhtar, Arabic Linguistics studies in Egypt to The End of the Tenth Century, Cambridge, 1967, p. 405.
8. Fol. 1. recto, apud Hirschfeld, "Arabic Portions in Cairo Geniza at Cambridge", J. Q. R. Jan, 1906, p. 327.

٩ - « اللمع » ص ٢٦١ « وقد يحذفون أكثر من هذا حكى ذلك عنهم سيديويهم وأنشد لبعضهم » .

١٠ - عون (حسن) ، « تطور الدرس النحوى » القاهرة ١٩٧٠ و ص ٥٠ .

١١ - هو يهودا بن داود حيوج ولد في فاس في المغرب ثم هاجر إلى قرطبة حيث بدأ نشاطه العلمى هناك ، وقد أطلق عليه إبراهيم بن عزرا في كتابه « موزنايم » لقب (مؤسس علم اللغة العبرية) .

١٢ - على سبيل المثال قاموس داود بن إبراهيم الفاسى المسمى « جامع الألفاظ » وقاموس محبيرة « لمناحم بن سروق . . . أما دوناش بن لبرت فبالرغم من تمييزه حروف العلة وخصائصها وسقوطها في تصريف بعض صيغ الأفعال وكذلك حديثه عن حرف النون إدغامه في حالة سكونه إلا أنه أيضا قدم لنا قائمة تضم أصولا ثنائية لبعض الأفعال التي يستطيع التعرف على أصولها الثلاثية وذلك في « ردوده » على كل من مناحم وسعديا .

١٣ - نشرت أصول هذه الكتب باللغة العربية مع ترجمة عبرية لها عدة مرات على يد كل من

J.L, Duke, 1844,

G. W. Nutt, 1870 and Jastraw, 1897.

١٤ - كتب ابن جناح عدة مقالات وكتب كان أولها « كتاب المستلحق » ثم « رسالة التنبيه » و « كتاب التقریب والتسهيل » و « كتاب التسوية » و « كتاب التشوير » ، وقد قام Josef Dereuboury بطبعها تحت اسم « كتب ورسائل لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي »

Opuscles et Traités d'Abou-L-

Walid Merwan Ibn Janah de Cordove, Paris, 1880.

١٥ - لم يتبق من كتابات صموئيل الناجيد في هذا المضمار إلا بقايا بسيطة ، منها الجزء الثاني من « رسائل الرفاق » الذي قام أيضاً "Josef Derenbourg" ، بطبعه في مقدمته لكتب ابن جناح "Opuscles السالف الذكر" بالإضافة إلى بعض القطع الأخرى من أعماله التي قام كل من Ko Kou tzaw, Wilensky بطبعها ثم أعاد Allony بتصويرها ونشرها في كتاب يحمل عنوان : : "Me - Sefre ha - Palshanut her - Ibnt : bime ha - binayen." 1980.

١٦ - قام Josef Derenbourg بنشر هذا الكتاب بمساعدة Bacher في باريس عام ١٨٨٦ تحت اسم "Le, Livre de Parterres" ثم قام Wileusky بتحقيقه وترجمته إلى اللغة العبرية تحت اسم Sefer ha - Reqma عام ١٩٢٦ .

١٧ - قام Neubauer بنشر هذا الكتاب في أكسفورد عام ١٨٧٥ تحت عنوان : "The Book of the Hebrnew Roots".

ثم قام Ibn - Tibbon بترجمته إلى العبرية وقام Bacher بنشره في برلين عام ١٨٩٤ - ١٩٠٨ .

١٨ - ابن جني (أبو الفتح عثمان) « سر صناعة الاعراب » ، القاهرة ، ١٩٥٤ . ج ١ . ١٣٠٪ .

١٩ - ضيف (شوقي) نفس المرجع السابق ص ١٣١ .

٢٠ - ثعلب (أبو العباس احمد بن يحيى) « مجالس ثعلب » مصر ١٩٤٨ ، ص ٣٤٩ .

21. Talmon - Rafael, "Nahwiyyun In Sibawaihi's Kitab" Journal of Arabic Linguistics, Wiesbadeu, Harrassowitz, Vol. 8, 1982, pp. 12—38.

٢٢ - انظر المقتضب للمبرد ، القاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٦٩ ، ج ٢/٦٤ « وما ورد عليك من المسائل فقسه على هذا » ، وكان ابن السراج هو أول نحوى يعلن صراحة أنه قد خصص كتابه « الأصول » للعالم والمتعلم « ولما كنت لم أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلم احتجت إلى أن أذكر ما يقرب على المتعلم » وفي موضع آخر يقول : « فلقد فرغنا من ذكر المرفوعات والمنصوبات وذكرنا في كل باب من المسائل مقداراً كافياً فيه درجة للمتعلم ودرس للعالم بحسب ما يصلح من هذا الكتاب » ، انظر كتاب الأصول في النحو - بغداد - ١٩٧٤ ح ١ / ٣٩ و ح ١ / ٣٩٩ على التوالي .

وقد وردت مثل هذه العبارات في كتب النحاة اليهود أيضاً فنجد حيوج يهتم بهذا الجانب قائلاً « وبعد هذه المقدمات أرى أن أولف جملة الأفعال ذوات المثانين أولاً فأول وأذكر ما وجدت من الخواص لبعضها دون بعض ليتم بذلك ما أردته من بيانها وانتفاع المتعلمين بها إن شاء الله » ؛ كتاب الأفعال ذوات المثانين ص ٢٣٥ .

